الفصل الخامس

التناسب في الفواصل القرآنية

المبحث الأول

تعريف الفاصلة القرآنية والخلاف بين الفواصل والسجع

الفاصلة لغةً: هي ما يفصل بين شيئين، وهي في علامات الترقيم في الكتابة العلامة التي توضع بين الجمل التي يتركب منها كلام تام الفائدة، وبين الكلمات المفردة المتصلة بكلمات أخرى تجعلها شبيهة بالجملة في طولها[1].

ولمادة (فَصَلَ) في اللغة العربية عدد من المعاني المتلاقية ترادفاً أو تضاداً. منها: الفصل: بَوْن ما بين الشيئين. والفصل من الجسد: موضع المفصل وبين كل فصلين وصل، مثل ذلك: الحاجز بين الشيئين والفصلة: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد فصّل النّظم. وعقدٌ مفصّل، أي: جعل بين كل لؤلؤتين خرزة[2] ومثله الفَصْل: القضاء بين الحق والباطل. وقريب منه: فَصَلَ من الناحية: أي خرج منها. ومنها: التفصيل: التبيين.

ومنها: الفَصْل واحد الفُصول، أي: القِطَع[3].

الفاصلة اصطلاحاً: فهي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع، وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب، لتحسين الكلام بها، وفي

---

(١) مجمع اللغة العربية، والمعجم الوسيط: ٦٩٨/٢.

(٢) هذا ما أختاره محرر مادة (فاصلة) في دائرة المعارف الإسلامية، ط٢: ١١٤١١/٢، (هـ. فلايش)، النسخة الإنكليزية.

(٣) ينظر: مادة (فصل) في لسان العرب، وأساس البلاغة، والقاموس المحيط، والمختار من صحاح اللغة.

الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام. وتسمى فواصل، لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أنّ آخر الآية فهل بينها وبين ما بعدها، و لم يسمّوها أسجاعاً، فأما مناسبة فواصل، فقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾[1]. وأمّا تجنّب أسجاع، فلأنّ أصله من سجع الطير[2].

وقد عرف الرماني الفاصلة بقوله: «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني»[3].

وعرفها الباقلاني بقوله: «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني»[4].

وقال ابن منظور: «وآخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر، جل كتاب الله ﷻ، واحدها فاصلة»[5].

وعرفها الزركشي: «هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع»[6]. وقول أحمد أحمد بدوي: نعني بها تلك الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن»[7].

ومن حق الفواصل -كما يقول الباقلاني-: «أن تكون تابعة للمعاني كما وردت في القرآن ولا نكون المعاني تابعة لها، فيكون ذلك وضعاً لها في

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣.

(٢) ينظر: البرهان: ٨٣/١.

(٣) النكت: ٩٧.

(٤) الإتقان: ٦٧٢.

(٥) لسان العرب: ١٨٩/١١، حرف (ف)، مادة (فصل).

(٦) الرهان: ٥٣/١.

(٧) من بلاغة القرآن: ٧٥.

غير موضعها»[1].

وقد عرّفت الفاصلة مقارنة بالقافية الشعرية «لأنّ الفاصلة في حكم القافية»[2] وذلك؛ لأنّ الفواصل هي رؤوس الآيات، والقوافي هي أواخر الأبيات[3]. وفرّق أبو عمرو الداني بين الفواصل ورؤوس الآي فقال: «أمّا الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس الآية وغير رأس، وكذلك الفواصل يكنّ رؤوس آي وغيرها. وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعمّ النوعين وتجمع الضربين[4].

أمّا فائدة الفواصل فيقول الرماني: «والفائدة في الفواصل دلالتها على المقاطع، وتحسين الكلام بالتشاكل، وإبداؤها في الآي بالنظائر»[5].

ويقول الزركشي: «وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام»[6].

وعليه نلاحظ أنّ الإجماع منعقد على عدم تسمية الفاصلة قافية كما حكاهُ السيوطي؛ إذ قال: «ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعاً؛ لأنّ الله تعالى لّما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضاً؛ لأنها منه وخاصةً في الاصطلاح، وكما يمتنع استعمال القافية يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر،

---

(١) إعجاز القرآن: ٢٧١.

(٢) الحجة للقراء السبعة: ٣٩٧/٢.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١٢١/١.

(٤) البرهان: ٥٣/١-٥٤.

(٥) ثلاث رسائل في إعجاز: ٩٩.

(٦) البرهان: ٥٤/١.

لأنها صفة لكتاب الله فلا نتعداه»[1].

وقد عرف العلماء ولاسيما الفراهيدي القافية والسجع تعريفات مهمة، حيث يقول الفراهيدي في تعريف القافية: «هي آخر ساكن في البيت إلى أقرب ساكن يليه مع المتحرك الذي قبله»[2]. ويقول في تعريف السجع: «سَجَعَ الرجل إذا نطق بكلامٍ له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن»[3].

إنّ تسمية الفواصل القرآنية أسجاعاً وإطلاق السجع عليها فإنّ جمهور العلماء قد منعه، وذلك لأنّ أصل السجع في اللغة كان على صوت الحمام إذا سجع أي: هدل على جهة واحدة[4].

ومن الذين تحمّسوا قديماً لقضية نفي السجع أبو بكر الباقلاني وهو يقول: «ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز، ولو جاز أن يقال: هو سجع مُعجزٌ، لجاز لهم أن يقولوا: شعر مُعجِز، وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن...»[5].

ولقد قال ابن سنان: «إنّ القرآن أُنزل بلغة العرب، وعلى عُرفهم وعاداتهم، وكان الفصيح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعاً، لما في ذلك من أمارات التكلف والاستكراه والتصنع، ولاسيما فيما يطول من الكلام»[6].

---

(١) معترك الأقران: ١/٢٥.

(٢) ميزان الذهب: ١١٣.

(٣) العين: ١/٢٤٤.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (سجع).

(٥) إعجاز القرآن: ٨٦.

(٦) سر الفصاحة: ٢٠٥.

ويستفاد من كلام ابن سنان أنّ المواضع القرآنية هي التي تتحكم في وجود السجع أو قرب السجعة أو بعدها، وهذا واضح في أسلوب القرآن الكريم.

وهكذا نستنتج تواتر التحرج من مَسَّ القرآن باصطلاح (السجع)، لأصله اللغوي في صوت الحمام، ولعيوبه الكثيرة التي لمسوها عند الخطباء، وبعض المؤلفين في العصر العباسي، وانزاحت من أذهانهم مع تقدم الزمن، لذلك سمح في قبول مصطلح (السجع)، على إنّ سجع القرآن سجعٌ محمود لا تتكلف فيه[1].

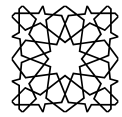

(١) ينظر: جماليات المفردة القرآنية: ٣١١؛ وجماليات السياق: ١٠٤-١٠٥.